فلولا انه على بينة واضحة من ربه والا لم يقطع بشيء من ذلك على انه لم يزل ينادي
عليهم بالعجز عن معارضتهم وبالتقصير عن بلوغ الغرض فيما قصده فلم يستطع احد
منهم ان يناديه ولم يرفع راسه الى ان يباريه بل ضربت لهم الذلة والمسكنة والفتهم
الابية اذ كانوا انف شيء واشده حمية بسفك الدماء وهتك الحرم ولذلك قال
العلماء من اعلى وجوه اعجاز القرآن ان فصاحته وبلاغته خرقت عادة العرب
مع انهم اوتوا منهما ما لم يؤته غيره لانهم كانوا ياتون منها على البداهة بالامر الاعجب
ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديها عند شدة الخطب ويرتجزون به بين
الطعن والضرب ويترسلون في اوديتها فياتون منها بالسحر الحلال ويتطوقون من
درريها اجمل من سمط الجمال فلا يشك عاقل انها طوع مرادهم وسلك قيادهم فما راعهم الا
رسول كريم بكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
حميد بهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وهم افصح ما كانوا في
هذا الباب مقالا واشهر ما وجدوا في الخطابة والشعر مثالا صارخا فيهم في كل حين
مقرعا لهم على رؤوس الملا اجمعين فاتوا بسورة من مثله والا فانتم المردودون الى
اسفل سافلين ثم لم يزل يقرعهم ويوبخهم ويسفه احلامهم ويحط اعلامهم ويسب
الهتهم ويستبيح نفوسهم واموالهم وهم لا يزدادون الا نفورا عن المعارضة
لم يكونوا بغافل صابرون على الجلاء والقتل والصغار والاذلال ناكصون عن معارضته
ومحجمون عن مماثلته يجادلون انفسهم بالتشغيب والتكذيب والاغراء بالافتراء

في قولهم

في قولهم ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين والمباهتة
والرضى بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر
ومن بيننا وبينك حجاب والادعاء مع ظهور غاية العجز عليهم بقولهم لو نشاء
لقلنا مثل هذا وقد قال لهم تعالى ولن تفعلوا فما فعلوا وما قدروا اذ لو اطاقوا الادنى
معارضة لبادروا اليها ولمحوا الخصم الذي كانوا مجافظين على اطفاء نوره واخفاء
اموره مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا فابلسوا وقطعوا
فانقطعوا هذا كله والاتي اليهم به مكث بين اظهرهم اربعين سنة امياً لا يحسن
نظم كتاب ولا عقد حساب ولا تعلم سحرا ولا انشد شعرا ولا يحفظ خبرا ولا روى
اثرا حتى اكرمه الله بالوحي المنزل والكتاب المفصل قال تعالى وما كنت تتلو من
قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون روى البيهقي وغيره
ان عتبة بن ربيعة قام من جمع قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
جالس في المسجد وحده فعرض عليه المال وغيره ليكف عما هو فيه فقال له اسمع مني
وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الرحمن الى ان بلغ السجدة
فسمع ما بهره فقال للنبي صلى الله عليه وسلم انت وذاك فقام الى اصحابه فقال
بعضهم لبعض لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به فقالوا له ما وراءك قال سمعت
قولا ما سمعت مثله قط فوالله ما هو شعر ولا سحر ولا كهانة اطيعوني معشر
قريش وخلوا بينه وبين ما هو فيه فليكونن له نبا ولما بلغ فقد انذرتكم